نظمان

في مسوِّغات الابتداء بالنكرة

أحدهما: لأبي سيف البرعصيّ (1840–1896م)

والآخر: لفالح الظاهريّ (1842–1910م)

Two Poems

Concerning the Reasons Behind the Non-definite Clause

By

Faleh Al Dhahiri (1842-1910)

Abi Saif Al Barasi (1840-1896)

تحقيق ودراسة

د. أحمد محمَّد جاد الله

الأستاذ المشارك، بقسم اللغة العربيَّة، كلِّيَّة الآداب، جامعة عمر المختار

Edited by

Dr. Ahmad Muhammad Jadallah

Associate Professor, Arabic Studies Department, Faculty of Arts

Omar Al Mukhtar University

المستخلص

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، ولكن وُجدت في اللغة أمثلة ابتدئ فيها بالنكرة، ولم يعوّل المتقدِّمون في ضابط ذلك إلَّا على حصول الفائدة، بينما رأى المتأخِّرون أنَّه ليس كلُّ أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة، فتتبَّعوها.

وقد خصَّ بعض المتأخِّرين هذه المسألة بالتأليف، نثرًا ونظمًا، وكان من بينهم أبو سيف البرعصيُّ، وفالح الظاهريُّ، اللذان يُعدَّان أنموذجًا لعدد من العلماء الذين أنجبتهم الدعوة السنوسيَّة في القرن التاسع عشر. ونظرًا إلى أنَّ الحركة العلميَّة في تلك الحقبة نالت حظَّها من الإهمال، فإنَّ العناية بكلِّ ما يقع تحت أيدي الباحثين من موروثها العلميِّ، لهو أمر في غاية الأهمِّيَّة؛ ولذلك اتَّجه الباحث إلى تحقيق هذين النظمين ودراستهما، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على مقدِّمة وثلاثة مطالب وخاتمة: خُصِّص المطلب الأوَّل للحديث عن المسوِّغات، واهتمام النحاة بهما. أمَّا المطلب الثاني فتضمَّن التعريف بالناظمين، والمسوِّغات عندهما. بينما خُصِّص المطلب الثالث للتعريف بالمنهج المتَّبع في التحقيق، ووصف المخطوط، ثمَّ النصِّ المحقَّق. وتضمَّنت الخاتمة نتائج البحث وتوصياته.

الكلمات المفتاحيَّة: مسوِّغات، الابتداء، المبتدأ، النكرة، المعرفة

Abstract

The subject originally starts with a noun or a pronoun that is definable, but there are examples where the beginning is undefinable. The early scholars considered it as a matter of meaning fulfillment in one way or another; while late scholars are researching the reasons behind it.

Some of the late scholars have devoted this issue to authorship, prose and systems, and among them were Abu Seif Al-Barasi and Faleh Al-Dhaheri, who are considered a model for a number of scholars who gave birth to the Senussi movement in the nineteenth century. Given that the Senussi movement was not given enough care in that period, it is important to carefully study its history. Therefore, the researcher moved to conduct their study, where the nature of the research is divided into three parts: introduction, three research questions, and a conclusion. The first part talks about the rationale, and the trend of the grammarians; the second includes the definition of the establishers and their justifications; and the third part is concerned with the definition of the method used in the investigation, describing the manuscript, then the achieved text. The conclusion introduced the results of the research and its recommendations.

Keywords : Reasons, beginning, subject, Non-definite, definite.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من المسائل النحويَّة التي اهتمَّ بها العلماء، وأولوها العناية في الدراسة والتأليف، مسألة: (جواز الابتداء بالنكرة)؛ فالأصل عندهم هو الابتداء بالمعرفة، ولا يجوز الابتداء بالنكرة إلَّا إذا أفادت. هذا ما نصَّ عليه النحاة الأوائل.

وفي (باب المبتدأ والخبر) وضع المتأخِّرون من النحاة، لجواز الابتداء بالنكرة، ضوابط أطلقوا عليها: (مسوِّغات الابتداء بالنكرة)، ومن بعدهم زاد اهتمام المصنِّفين بهذه المسوِّغات فأخذوا يفردونها بالتأليف نثرًا ونظمًا؛ وكان ممَّن نظمها العالمان الجليلان: فالح بن محمَّد الظاهريُّ (ت:1910م)، وأبو سيف بن مُقرِّب البرعصيُّ (ت:1896م)، وهما أنموذج لعدد كبير من العلماء والأدباء الذين أنجبتهم الدعوة السنوسيَّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بليبيا.

ونظرًا إلى أنَّ الحركة العلميَّة في تلك الحقبة نالت حظَّها من الإهمال والتهميش، أو قل التحجير، بسبب الحروب والنكبات التي عصفت بالبلاد قرابة قرن من الزمن، فإنَّنا نرى أنَّ الالتفات إلى تلك الحقبة من تاريخ بلادنا، والبحث عن أعلامها، والتنقيب عن أعمالهم، والعناية بكلِّ ما يقع تحت أيدي الباحثين من ذلك الموروث العلميِّ والثقافيِّ، وتحقيقه ونشره – لهو أمر يكاد يكون واجبًا مفروضًا.

ومن هنا اتَّجه الباحث صوب تحقيق هذين النظمين –فور وقوفه عليهما– وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على مقدِّمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

تحدَّث **المطلب الأوَّل** عن مسوِّغات الابتداء بالنكرة، واهتمام النحاة بها.

وخُصِّص **المطلب الثاني** للكلام على الناظمين، والمسوِّغات في نظميهما.

أمَّا **المطلب الثالث** فخُصِّص للتعريف بالمنهج المتَّبع في التحقيق، ووصف المخطوط، ثمَّ النصِّ المحقَّق.

وتضمَّنت الخاتمة النتائج والتوصيات.

الباحث

المطلب الأوَّل

المسوِّغات، واهتمام النحاة بها

أوَّلًا: مسوِّغات الابتداء بالنكرة بين الأوائل والمتأخِّرين

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة؛ لأنَّه هو المحكوم عليه والمسند إليه، ولكن وُجدت في لغة العرب أمثلة كثيرة ابتدئ فيها بالنكرة، وإنَّما جاز ذلك لأنَّ النكرات في تلك الشواهد أشبهت المعارف من وجوه عدَّة، و«لم يعوِّل المتقدِّمون في ضابط ذلك إلَّا على حصول الفائدة»[1]؛ قال سيبويه (ت:180هـ): «لو قلت: رجل ذاهب، لم يحسن حتَّى تعرِّفه بشيء؛ فتقول: راكب من بني فلان سائر»[2]، وصرَّح ابن السرَّاج (ت:316هـ) بذلك فقال: «وإنَّما يراعى في هذا الباب وغيره الفائدة، فمتى ظفرت بها في المبتدأ وخبره فالكلام جائز»[3].

«ورأى المتأخِّرون أنَّه ليس كلُّ أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة، فتتبَّعوها؛ فمن مقلٍّ مخلٍّ، ومن مكثر مورد ما لا يصلح، أو معدِّد لأمور متداخلة»[4]؛ فالسهيليُّ (ت:581هـ) يخصِّص فصلًا من كتابه (نتائج الفكر في النحو) لمسوِّغات الابتداء بالنكرة، يقول فيه: «وحدُّ المبتدأ أن يكون معرفة أو مخصوصًا، وإلَّا فلا فائدة في الإخبار عنه، فإن لم يكن منعوتًا، ولا مخصوصًا، ولا مستفهمًا عنه، ولا منفيًّا؛ نحو: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ – فلا يُخبر عنه»، ويضيف: «وفي العربيَّة أبواب رُفعت فيها النكرة بالابتداء سوى ما ذكرناه، ولكن لمعانٍ مازجت الكلام، وقرائنِ أحوال حسَّنت النظام»[5]، وذكر منها: التفضيل، وما دخله معنى الدعاء، وما أريد به التزكية[6].

وفي (الألفيَّة) ذكر ابن مالك (ت:672هـ) ستَّة مسوِّغات، فقال [من الرجز]:

وَلَا يَجُـــوزُ الِابْتِـــدَا بِالنَّكِـــرَةْ ... مَـا لَمْ تُفِـدْ؛ كَـ: عِنْـدَ زَيْـدٍ نَمِـرَةْ

وَهَـلْ فَـتىً فِـيكُمْ؟ فَمَـا خِـلٌّ لَنَـا ... وَرَجُـلٌ مِـنَ الْكِـرَامِ عِنْـدَنَا

وَرَغْبَـةٌ فِي الْـخَيْرِ خَيْـرٌ. وَعَمَـلْ ... بِـرٍّ يَـزِينُ. وَلْـيُقَسْ مَـا لَمْ يُقَـلْ[7]

بينما أنهاها البهاء النحَّاس (ت:698هـ) إلى نيِّف وثلاثين مسوِّغًا[8]، قال ابن هشام (ت:761هـ) «والذي يظهر لي أنَّها منحصرة في عشرة أمور»[9]، وهي: تقديم الخبر المختصِّ، والوصف، والعموم، والعمل، والعطف، وكونها

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، 608.

(2) كتاب سيبويه، 329/1.

(3) الأصول في النحو، ابن السرَّاج، 59/1.

(4) مغني اللبيب، ابن هشام، 608.

(5) نتائج الفكر في النحو، السهيليُّ، 315.

(6) يُنظر: نفسه، 316-319.

(7) ألفيَّة ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك، 17.

(8) يُنظر: التعليقة على المقرَّب، النحَّاس، 304/1-311.

(9) مغني اللبيب، ابن هشام، 608.

في معنى الفعل، وفي أوَّل الحال، وأن يراد بها الحقيقة من حيث هي، وكون الخبر من خوارق العادات، وكونها بعد (إذا) الفجائيَّة[1].

وأوصلها ابن عقيل (ت:769هـ) إلى أربعة وعشرين مسوِّغًا، وهي: أن يتقدَّم الخبر عليها وهو ظرف أو جارٌّ ومجرور، وأن يتقدَّم عليها استفهام أو نفي، وأن توصف، وأن تكون عاملة، أو مضافة، أو شرطًا، أو جوابًا، أو عامَّة، أو للتنويع، أو دعاءً، أو فيها معنى التعجُّب، أو خلفًا من موصوف، أو مصغَّرة، أو في معنى المحصور، أو قبلها واو الحال، أو معطوفة على معرفة، أو معطوفة على وصف، أو يُعطف عليها موصوف، أو تكون مبهمة، أو تقع بعد (لولا)، أو فاء الجزاء، أو لام الابتداء، أو (كم) الخبريَّة[2].

ويرى الخضريُّ (ت:1278هـ) أنَّ بعض ما ذكره ابن عقيل متداخل، ويضيف أنَّ ممَّا يستعمله العرب: كون النكرة فاعلًا أو نائبه في المعنى، وكونها في معنى الأمر، أو للمناقضة، فهي عنده عشرون مسوِّغًا؛ وقد نظمها فقال [من البسيط]:

«مُسَـــوِّغَاتُ ابْتِـــدَا مَنْكُـــورِهِمْ: صِـــفَةٌ ... عَطْـفٌ، عُمُـومٌ، وَمَعْـنَى الْفِعْـلِ، مَـعْ عَمَـلِ

حَصْـــرٌ، وَخَـــرْقٌ، وَتَنْوِيـــعٌ، حَقِيقَتُـــهُ ... أَوْ بَـدْءُ حَـالٍ، جَـوَابٌ لِلسُّـؤَالِ يَلِـي

أَوْ بَعْدَ (لَوْلَا)، وَ(كَمْ)، (لَامِ) ابْتَدَا، وَ(إِذَا) ... تَقْـدِيمُ أَخْبَـارِهِ[3]، الْإِبْهَـامُ. فَانْتَهِـلِ

كَـــذَا إِرَادَةُ مَخْصُـــوصٍ، مُنَاقَضَـــةٌ ... أَوْ كَوْنُـهُ فَـاعِلًا مَعْـنًى. فَـلَا تَـحُلِ»[4]

ثانيًا: إفراد (مسوِّغات الابتداء بالنكرة) بالتأليف

اهتمَّ بعض متأخِّري النحاة بهذه المسألة، وخصُّوها بالتأليف، وفيما يأتي سرد لما وقفنا عليه من مؤلَّفات ومنظومات مرتَّبة حسب سنوات وفياتهم:

1- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم: ابن مكتوم، أحمد بن عبد القادر، أبي محمَّد تاج الدين، الحنفيّ (ت:749هـ)[5].

2- (**التذكرة، في التسويغ للابتداء بالنكرة**)، تأليف: العُنَّابيّ، أحمد بن محمَّد، أبي العبَّاس شهاب الدين، الأصبحيّ المغربيّ المالكيّ (ت:776هـ)[6].

---

[1] نفسه، 608-610.

[2] يُنظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، ابن عقيل، 1/215-227.

[3] في الأصل: «إجباره»، تصحيف.

[4] حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، الخضريُّ، 1/190.

[5] نظم يقع في 14 بيتًا من البحر الطويل، اشتمل على 33 مسوِّغًا، زاد عليها العجلونيُّ 8 أبيات مشتملة على 17 مسوِّغًا، لتصير 50 50 مسوِّغًا، وشرحها في كتابه (الفوائد المحرَّرة) الآتي ذكره. نقلًا عن: التذكرة في التسويغ للابتداء بالنكرة، العُنَّابيُّ، مجلَّة العلوم الإسلاميَّة، ع 12، ص 428.

[6] منشور بمجلَّة العلوم الإسلاميَّة، العدد الثاني عشر، 2016، بتحقيق د. هادي أحمد فرحان الشجيري، قسم اللغة العربيَّة، كلِّيَّة التربية، الجامعة العراقيَّة.

3- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم وشرحه: للقسطلَّانيّ، أبي السعود بن عليٍّ الزين، المكِّيّ المالكيّ (ت:1033هـ)[1].

4- (**تقييد الأمثلة المستحضرة، لبعض مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، تأليف: الرسموكيّ، عليّ بن أحمد (ت:1049هـ)[2].

5- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم وشرحه: للجمال المصريّ، عليّ بن أبي بكر (ت:1072هـ)[3].

6- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم وشرحه: للطواقيّ، عبد الرحيم بن محمَّد، الدمشقيّ الميدانيّ (ت:1123هـ)[4].

7- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، تأليف: البريّ، محمَّد بن إبراهيم، أبي طاهر المدنيّ الحنفيّ (ت:1157هـ)[5].

8- (**الفوائد المحرَّرة، بشرح مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، تأليف: العجلونيّ، إسماعيل بن محمَّد (ت:1162هـ)[6].

9- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم: البرعصيّ، أبي سيف بن مقرِّب حدُّوث (ت:1314هـ).

10- (**مسوِّغات الابتداء بالنكرة**)، نظم: الظاهريّ، فالح بن محمَّد، أبي اليُسر المهنويّ الحربيّ المدنيّ الجغبوبيّ (ت:1328هـ).

وهذان الأخيران هما موضوع هذا البحث.

---

[1] خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبّيُّ، 122/1.

[2] منشور بمجلة آفاق الثقافة والتراث، دبيّ، السنة 12، العدد 47، شعبان 1425هـ/ تشرين الأوّل 2004م، بتحقيق د. أحلام محمَّد خليل.

[3] خلاصة الأثر، المحبّيُّ، 128/3-130.

[4] هدية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين، البغداديُّ، 564/5.

[5] الأعلام، الزركليُّ، 304/5. ومنه نسخة في جامعة الملك سعود (الرياض سابقًا)، برقم: 806، تقع في 9 أوارق.

[6] حقَّقه: يحيى خليل إسماعيل حسين الطائيُّ، في رسالة ماجستير، قسم اللغة العربيَّة، كلِّيَّة التربية، جامعة ديالى، 2003م. ونشرته المكتبة المكتبة الأزهريَّة للتراث، بتحقيق: حمدي عبد الفتَّاح مصطفى خليل، عام 1425هـ/2004م.

المطلب الثاني:

الناظمان، والمسوِّغات في نظميهما

أوَّلًا: أبو سيف البرعصيُّ[1]:

1- أوَّليَّته (اسمه، ولقبه، ونسبه):

هو أبو سيف بْنُ مقرِّبِ بْنِ حدُّوثٍ، البرعصيُّ؛ نسبة إلى جدِّه الثامن الملقَّب ببرعاص، القادم من المغرب، قال السيِّد أحمد الشريف في ترجمته: «والسيِّد أبو سيف شريف الحسب والنسب، مَشيشيٌّ إدريسيٌّ»[2].

2- مولده، ونشأته، وتعليمه، وشيوخه:

وُلد السيِّد أبو سيف في الجْبل الأخضر، سنة (1256هـ/1840م)، ولمَّا ترعرع وضعه والده في مكتب الزاوية البيضاء؛ ليتعلَّم الكتابة والقراءة، وكانت تبدو عليه أمارات الذكاء والنجابة.

ولـمَّا شرَّق الأستاذ الأكبر ﷺ إلى الحجاز سنة (1262هـ/1846م) تركه مع الإخوان الذين تخلَّفوا بالجْبل الأخضر، وعمره إذ ذاك ستُّ سنوات، ولا زال معهم حتَّى رجع الأستاذ من الحجاز سنة (1271هـ/1854م)، فأتى الحاجُّ مقرِّبٌ بولده السيِّد أبي سيف إلى زاوية العزِّيَّات، فأخذه الأستاذ ﷺ لتتميم حفظ القرآن، وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة، وفي العزِّيَّات كان اجتماعه بزميله السيِّد فالحٍ الظاهريِّ.

ولـمَّا انتقل الأستاذﷺ إلى الجْغبوب سنة (1273هـ/1856م) تركه بالعزِّيَّات مع الإخوان، وكان عمره آنذاك ستَّ عشرة سنة، ثمَّ طلبه فقدم عليه بالجْغبوب، لينهل من علمه، وتذكر المصادر أنَّه ﷺ صافحه وشابكه مرَّتين، مرَّة في العزِّيَّات ومرَّة في الجْغبوب، وسمع منه الأحاديث المسلسلة.

وفي الجْغبوب تمَّ نضجه، واكتملت شخصيَّته، وظهرت ملكاته، وفيها اتَّصل بالعلماء والأدباء، وجلس إليهم، فأثاروا في نفسه جذوة الشعر، فلم تلبث ملكته الأدبيَّة أن ظهرت، ثمَّ لم تلبث أن فرضت نفسها فرضًا، ولاسيَّما في أيَّام السيِّد محمَّد المهديِّ، فما من مناسبة تهيِّج الخواطر إلاَّ كان شعره تعبيرًا صادقًا عن تلك الخواطر المهتاجة.

ولـمَّا توفِّيَ الأستاذ الأكبر ﷺ سنة (1276هـ/1859م) كان قد انتهى من الطلب، ولكنَّ ذلك لم يمنعه من الازدياد من العلم، فشارك الأستاذَ السيِّد محمَّدًا المهديَّ، وصنوَه العلاَّمة السيِّد محمَّدًا الشريف، والسيِّد فالحًا الظاهريَّ، في التلقِّي عن العلاَّمة السيِّد أحمدَ بْنِ عبد القادر الريفيِّ، والعلاَّمة السيِّد عمرانَ بْنِ بركةَ الفيتوريِّ، والسيِّد أحمد التواتيِّ، والعلاَّمة عبد الرحيم المحبوب، حتَّى حصَّل التحصيل التامَّ، وصار من أكابر العلماء الأعلام، وضُمَّ إلى (مجلس الإخوان) في عهد السيِّد محمَّد المهديِّ، وكان من خيرة رجال (الجْمعيَّة السنوسيَّة).

3- مؤلَّفاته:

أ- المخطوطة:

---

[1] مختصرة من كتابنا: شعر السيِّد أبي سيف مقرِّب حدُّوث البرعصيِّ (شاعر الحضرة السنوسيَّة)، جادالله، ومحمود، 24-42.

[2] الشموس النورانيَّة العرفانيَّة الإشراقيَّة، في بيان أعلام الطريقة السنوسيَّة الإدريسيَّة المحمَّديَّة، السنوسيُّ، (خ) 261/1 - 263.

- **حاشية على شرح بحرقٍ اليمنيّ للاميَّة الأفعال لابن مالك**، محفوظة بمكتبة جامعة بنغازي، تحت رقم: 1960، بخطِّ المؤلِّف[1]، وقد حقَّقها الأستاذ محمَّد الأمين اسويكر في رسالة جامعيَّة نال بها درجة الماجستير من جامعة الزاوية سنة 2011م، ولكنَّها لم تُنشر بعدُ.
- **رسالة في البسملة**، محفوظة بمكتبة جامعة بنغازي، تحت رقم: 1045، نسخها: محمَّد عليّ بن عبد المولى، سنة 1293هـ/1876م[2].

ب- المفقودة:

- **حاشية على شرح المكُّوديّ على الألفيَّة**. أشار إليها في مقدِّمة شرحه للبسملة، ولا يُعلم هل أتمَّها أم لا.

4- رحلته، ووفاته:

لم يزل السيِّد أبو سيف ﷺ مقيمًا بالجْغبوب يعلِّم العلوم ويصلح بين الناس، وبعد هجرة السيِّد المهديّ إلى الكُفرة بسنة ونصف لحق به السيِّد أبو سيف، وما إن اجتمع به في يوم الحادي عشر من جمادى الثانية سنة 1314هـ/17 نوفمبر 1896م، حتَّى أصابه ما أصابه، فاشتدَّ عليه المرض، وفي اليوم التالي توفِّيّ، عند قرب الزوال، وصلَّى عليه الأستاذ السيِّد محمَّد المهديُّ، وكان ذلك غاية مناه، ودُفن خلف روضة بنات الأستاذ ، وقبره معروف يُزار[3].

حلَّاه السيِّد أحمد الشريف فقال: «وليُّ الله، العالم العلاَّمة، والبحر الفهَّامة، الشريف الْجليل، الباذخ[4] الأصيل، الأديب اللبيب، الشاعر الكاتب النجيب، السيِّد أبو سيف بْنُ مقرِّبٍ البرعصيُّ الحَدُّوثيُّ»[5].

ولقَّبه الرحَّالة الأديب محمَّدُ بْنُ عثمانَ الحشائشيُّ بـ «أديب زمانه»[6]، وفي مناسبة أخرى حلَّاه بقوله: «أديب عصره»[7]. وذكر غير واحد ممَّن ترجموا له أنَّه كان يُلقَّب بـ «شاعر الحضرة السنوسيَّة»[8]، قال الحاجريُّ: «وبه بلغ الشعر السنوسيُّ ذروة عالية، وأصبح له مكانه المرموق، حتَّى كانوا يصفونه بأنَّه (شاعر الحضرة السنوسيَّة) قياسًا على شعراء البلاط في الإمارات والممالك، ولعلَّه من أجل هذا كان ما بلغنا من شعره أكثرَ ممَّا بلغنا من شعر غيره»[9].

---

[1] فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزيَّة بنغازي، شمبش، 132/3.

[2] أوشك أن أنتهي من تحقيقها.

[3] الدرُّ الفريد الوهَّاج، بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، (خ)، السنوسيُّ، 49 أ.

[4] الباذخ: الشريف ذو المكانة العالية.

[5] الشموس، السنوسيُّ، 259/1.

[6] رحلة الحشائشيّ إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، الحشائشيُّ، 159.

[7] نفسه، 168.

[8] برقة العربيَّة بين الأمس واليوم، الأشهب، 153، وأعلام ليبيا، الزاويُّ، 401، وموسوعة القطعانيّ، 564/2.

[9] دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبيَّة في المغرب العربيّ، الحاجريُّ، 313.

ثانيًا: فالح الظاهريُّ

1- أوَّليَّته (اسمه، ولقبه، وكنيته):

هو: فالح بن محمَّد بن عبد الله بن فالح، الظاهريُّ؛ نسبة إلى عرب الظواهر، المهنويُّ؛ نسبة إلى بني مهنى منهم، الحربيُّ؛ نسبة إلى قبيلة حرب، المدنيُّ؛ نسبة إلى المدينة المنوَّرة التي وُلد وتوفِّي بها، وهو -أيضًا- الجغبوبيُّ؛ نسبة إلى الجغبوب التي قضى بها شطر حياته، يُكنى: أبا اليسر، وأبا النجاح[1].

2- مولده، ونشأته:

«وُلد -رحمه الله- في واسط، من نواحي المدينة المنوَّرة، في السابع من رجب الفرد الحرام عام 1258هـ»[2]/14 أغسطس1842م، وعندما بلغ سنَّ التعليم أرسله والده إلى زاوية رابغ السنوسيَّة، وهناك حفظ القرآن الكريم، وتلقَّى مبادئ العلوم، وفي 25 ذي القَعدة عام 1268هـ/10 سبتمبر 1852م، دخل المدينة، فاجتمع فيها بالأستاذ الأكبر السيِّد محمَّد بن عليٍّ السنوسيِّ[3]، «وكان حينئذ قد جمع القرآن، واستظهر بعض المنظوم الوجيز، فلمَّا مثُل قائمًا بين يديه، أقبل عليه، ولازمه من ذلك الوقت سفرًا وحضرًا سبع سنوات، وحجَّ معه ثلاث مرَّات»[4]، و«شرع في قراءة العلم العلم على الأستاذ ﷺ وخواصِّ إخوانه»[5].

3- رحلته:

لمَّا غرَّب الأستاذ الأكبر ﷺ تغريبته الثانية، غرَّب معه السيِّد فالح، فخرج من مكَّة المشرَّفة يوم الأربعاء لعشر بقين من ذي الحجَّة سنة 1270هـ/13 سبتمبر 1854م، لينزل بالعزِّيَّات يوم السبت 4 ربيع الأوَّل 1271هـ/25 نوفمبر 1854م، ومكث مع الأستاذ يطلب العلم، وهناك اجتمع بالسيِّد أبي سيف البرعصيِّ، فأخذا يطلبان العلم سويًّا، حتَّى صارا كفرسي رهان، وأضحى للسيِّد فالح الباع الطويل في الحديث والفقه، وللسيِّد أبي سيف الباع الطويل في العربيَّة[6].
العربيَّة[6].

ولمَّا ارتحل الأستاذ إلى الجغبوب آخرَ يوم من محرَّم الحرام 1272هـ/30 أكتوبر 1856م، تخلَّف السيِّد فالح أوَّلًا بالعزِّيَّات، ثمَّ لحقه بالجغبوب، ولا زال مقيمًا به مع الأستاذ حتَّى توفِّي ﷺ في 9 صفر 1276هـ/7 سبتمبر 1859م.

---

[1] يُنظر: الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1. وفهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، الكتَّانيُّ، 895/2، ومعجم الشيوخ، المسمَّى (رياض الجنَّة، أو المدهش المطرب)، الفاسيُّ، 223، والسنوسيُّ الكبير، الأشهب،61.

[2] أعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 444.

[3] يُنظر: الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1، وأعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 445. ولا يخفى أنَّ ما ذكره الأشهب في كتابيه (السنوسيُّ الكبير: 61)، و(برقة العربيَّة: 150) -وتابعه الحاجريُّ (دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبيَّة في المغرب العربيِّ 307، 308)- من أنَّه (التحق بالأستاذ الأكبر سنة 1243هـ/1827م، وهو في سنِّ الطفولة ، بمكَّة المكرَّمة)- مجانب للصواب؛ إذ إنَّ السيِّد فالحًا لم يكن قد وُلد في ذلك التاريخ.

[4] فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2.

[5] الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1.

[6] يُنظر: الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1، وفي المخطوط: «إلَّا أنَّ سيِّدي فالحًا كان له الباع الطويل في العربيَّة، والسيِّد أبا سيف كان له الباع الطويل في الحديث والفقه»، والصواب ما أثبتُّه، وهو ما تشهد به آثارهما العلميَّة.

بعد وفاة الأستاذ دخل السيِّد فالح في كنف السيِّد أحمد الريفيّ، الذي اعتنى به عناية الوالد بولده، واستأنف –هو وكلٌّ من السيِّد عمران بن بركة، والسيِّد أحمد التواتيّ، والسيِّد عبد الرحيم المحبوب– قراءة الدروس، فكان السيِّد فالح يحضر هو والسيِّد أبو سيف مع الأستاذين السيِّد محمَّد المهديّ، والسيِّد محمَّد الشريف[1]، حتَّى حصَّل اللازم له من سائر العلوم، وأجازه مشايخه المذكورون، ثمَّ شرع بنفسه في إلقاء الدروس، فكان محلَّ احترام السيِّد مُحَمَّد المهديّ، وموطن إجلال جميع الإخوان السنوسيّين[2].

وبعد ثلاث وثلاثين سنة قضاها السيِّد فالح في زاوية الجغبوب باثًّا لشتَّى العلوم، المنقول منها والمفهوم، وتحديدًا في سنة 1305هـ/1888م، غادر الجغبوب ، مرورًا بمصر، ليحطَّ رحله بمكَّة المشرَّفة، التي أقام بها ثلاثة أعوام، ليغادرها في رجب 1308هـ/فبراير 1891م، إلى المدينة المنوَّرة التي لم يمكث بها إلَّا قليلًا حتَّى يمَّم نحو الأستانة (إستانبول) التي دخلها سنة 1309هـ/ 1892م، وعُيّن بأمر من السلطان عبد الحميد قارئًا للحديث الشريف بالقصر السلطانيّ[3].

ولكنَّه ما لبث أن ضاق بحياة القصور، فلم يزل يتوسَّط لدى شيخ الإسلام، حتَّى أعفي من التدريس هناك، وعاد إلى المدينة المنوَّرة يحمل فرمانًا (مرسومًا) بتدريس علوم الحديث في المسجد النبويّ الشريف[4].

4– شيوخه:

أ– محمَّد بن عليّ بن السنوسيّ، الخطَّابيُّ الحسنيُّ الإدريسيُّ، الأستاذ الأكبر (1202–1276)[5]. وهو عمدته؛ به تخرَّج، وإليه انتسب، وجلُّ روايته عنه؛ حيث لازمه –كما تقدَّم– سبع سنوات، وأخذ عنه العلم رواية ودراية، «وسمع عليه الكثير؛ كالموطَّأ، والبخاريّ، وبقيَّة الستَّة، إلَّا ابن ماجه فلم يسمع منه إلَّا النصف، وباقيه يرويه إجازة خاصَّة في عموم مرويَّاته ومؤلَّفاته، وتلقَّى منه الأوراد»[6]، «وألبسه الخرقة، وسمع عليه الحديث المسلسل بالأوَّليَّة، والعيد، والصفِّ، وأضافه على الأسودين، وصافحه، وشابكه، ولقَّنه»، «وخاطب جماعة هو فيهم بقوله [من الطويل]:

أَجَـــزْتُكُمُ مَرْوِيَّنَـــا كُلَّـــهُ، وَمَـــا سَـيُؤْثَرُ عَنَّـــا، رَاجِيًـــا لِـــدُعَائِكُمْ»[7]

وممَّن لقيهم وصحبهم مدَّة من الزمن، مرتَّبين حسب ذكره لهم في ثبَته الصغير:

ب– عمران بن بركة الفيتوريُّ الحسنيُّ، أبو موسى، المعمَّر (1212–1311هـ)[8].

ت– محمَّد الطاهر الغانيُّ، العلَّامة المقرئ، الناسك العابد[1].

---

[1] يُنظر: الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1، 259.

[2] يُنظر: برقة العربيَّة، الأشهب، 150.

[3] تشنيف الأسماع، بشيوخ الإجازة والسماع (إمتاع أولي النظر، ببعض أعيان القرن الرابع عشر)، ممدوح، 58، ونثر الجواهر والدرر، في علماء القرن الرابع عشر، المرعشليُّ، 908.

[4] يُنظر: أعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 446، وفهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 897/2.

[5] حسن الوفا لإخوان الصفا، الظاهريُّ، 55.

[6] معجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234، ويُنظر: فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2.

[7] فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، ويُنظر: معجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234، وفيهما: «لدعائي».

[8] حسن الوفا، الظاهريُّ، 55، 56. ويُنظر: الشموس النورانيَّة، السنوسيُّ، 258/1، وفهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

ث- عبد الرحيم بن أحمد المحبوب الزمُّوريُّ، البنغازيُّ، البرقيُّ، أبو الحلم (1241-1306هـ)[2].

ج- حسن العدويُّ الحمزاويُّ المالكيُّ (1221-1303هـ)[3].

ح- محمَّد بن أحمد عُلَيش المالكيُّ (1217-1299هـ)[4].

خ- عبد الغنيّ بن أبي سعيد الدهلويُّ العمريُّ المجدِّديُّ، المحدِّث (1235-1296هـ)[5].

د- عليُّ بن عبد الحقِّ القوصيُّ الحجَّاجيُّ، أبو الحسن، المعمَّر (1202-1294هـ)، لقيه بمكَّة المكرَّمة عام 1269هـ/1853م، وأجازه إجازة عامَّة[6].

ذ- محمَّد الشريف بن عوض الدمياطيُّ الشافعيُّ، مسند دمياط، تدبَّجا فيها سنة 1323هـ/1905م[7].

ر- أحمد بن عبد القادر الريفيُّ المازونيُّ (1244-1329هـ)، وكان أكثر تحصيله وتربيته على يديه؛ حيث كان منه بمنزلة الابن[8].

5- تلامذته:

جلس السيِّد فالح للتدريس في زاوية الجغبوب ردحًا من الزمن[9]، وهناك أخذ عنه «العدد الكثير من كبار العلماء»[10]، كما جلس للتدريس بالمسجد الحرام، ثمَّ كُلِّف بقراءة الحديث في القصر السلطانيّ، كما أتاحت له فرصة التدريس في المسجد النبويّ الالتقاء بطلَّاب العلم من شتَّى بقاع الأرض، ومن أشهر الآخذين عنه، مرتَّبين حسب وفياتهم:

أ- محمَّد هاشم بن أحمد الفوتيُّ ثمَّ المدنيُّ، المالكيُّ، الشهير بألفا هاشم (1283-1349هـ)[11].

ب- عُمر المختار عُمر، لِمْنِفِيُّ، البرقيُّ، المالكيُّ، شيخ الشهداء (1297-1350هـ)[12].

ت- محمَّد بدر الدين الحسنيُّ، البيبانيُّ المغربيُّ ثمَّ الدمشقيُّ (1267-1354هـ)[13].

ث- إبراهيم بن عبد القادر البَرّيُّ الهاشميُّ القرشيُّ، المدنيُّ الحنفيُّ، القاضي، إمام المسجد النبويّ (1281-1354هـ)[14].

---

[1] حسن الوفا، الظاهريُّ، 56.

[2] نفسه، 56. ويُنظر: الشموس، السنوسيُّ، 258/1، وفهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[3] حسن الوفا، الظاهريُّ، 56، 57. ويُنظر: فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 2، 896، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[4] حسن الوفا، الظاهريُّ، 56، 57. ويُنظر: فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعج الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[5] حسن الوفا، الظاهريُّ، 57. ويُنظر: فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[6] فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[7] فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 896/2، 897، ومعجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

[8] الشموس، السنوسيُّ، 258/1.

[9] السنوسيُّ الكبير، الأشهب، 62.

[10] برقة العربيَّة، الأشهب، 150.

[11] أعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 539.

[12] عُمر المختار في ذكرى استشهاده، أحمد. مقالة منشورة في مجلَّة البيان. ع 15، ص 82. ولا أشكُّ في أنَّه قد تلمذ له عدد كبير من طلَّاب زاوية الجغبوب، ولكنَّ المصادر التي اطَّلعت عليها إلى الآن لم تسعفني إلَّا بسيِّدي عمر المختار.

[13] نثر الجواهر والدرر، المرعشليُّ، 1537.

[14] أعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 448.

ج- عبد الستَّار بن عبد الوهَّاب، البكريُّ الصدِّيقيُّ، الهنديُّ المكِّيُّ، الحنفيُّ (1286-1355هـ)[1].

ح- أحمد بن عبد الله الشاميُّ ثمَّ المكِّيُّ، شهاب الدين، الشهير بالمخلَّلاتيّ، المقرئ (1278-1362هـ)[2].

خ- محمَّد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد مايابي الشنقيطيُّ، المدنيُّ ثمَّ المصريُّ (1295-1363هـ)[3].

د- عليُّ بن فالح الظاهريُّ، الجغبوبيُّ، المدنيُّ ثمَّ المكِّيُّ، المالكيُّ (1295- 1364هـ)[4].

ذ- عُمر بن حمدان المحرسيُّ التونسيُّ، المدنيُّ ثمَّ المكِّيُّ، المالكيُّ (1291-1368)[5].

ر- محمَّد عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتَّانيُّ، المغربيُّ، المالكيُّ(1302-1382هـ)[6].

ز- عبد الحفيظ بن محمَّد الطاهر الفهريُّ، الفاسيُّ، المالكيُّ (1296-1383هـ)[7].

6- مؤلَّفاته:

أ- المطبوع:

- أنجح المساعي، في الجمع بين صفتي السامع والواعي[8].
- حسن الوفا لإخوان الصفا، (ثبَته الصغير)[9].
- صحائف العامل بالشرع الكامل[10].
- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب؛ لأحمد النائب الأنصاريّ الطرابلسيّ (1840-1918م)، (تهذيب وتعليق)[11].

ب- المخطوط:

- حواشٍ على الصحيح والموطَّأ في عدَّة أسفار[12].
- شَيم البارق من دِيَم المهارق، (ثبَته الكبير)[1].

---

[1] فيض الملك الوهَّاب المتعالي، بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، البكريُّ، 1288.

[2] العجالة في الأحاديث المسلسلة، الفاداني، 9.

[3] إعلام الطلبة الناجحين، فيما علا من أسانيد الشيخ عبد الله سراج الدين، سرداد، 143.

[4] العجالة، الفاداني، 9.

[5] العجالة، الفاداني، 13، وأعلام من أرض النبوَّة، الكتبي، 448.

[6] فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 898.

[7] معجم الشيوخ، الفاسيُّ، 235.

[8] مدوَّن كبير في الفقه على مذهب الأثر، أفاد الكتَّانيُّ بأنَّه يقع في (581) صفحة، وأنَّه طُبع في مصر. فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 897/2. ويبدو أنَّ للكتاب أكثر من طبعة قديمًا-وليس كما ذكر الأشهب في (برقة العربيَّة:150)- إذ يذكر سركيس أنَّه طُبع سنة 1331هـ/1913م، بالمطبعة الحسينيَّة، وأنَّ عدد صفحاته: 159. معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة، سركيس، 1433/2. كما طُبع سنة 1391هـ، بعناية عبد الله هاشم، ثمَّ طبعته دار الشريف بالرياض سنة 1414هـ بعناية إبراهيم عبد الله الحازمي، كما طبعته كلٌّ من دار الآفاق العربيَّة، ودار الكتب العلميَّة، بتحقيق: أحمد فريد المزيديّ.

[9] طُبع بمطبعة شركة المكارم بالإسكندرية سنة 1323هـ/1905م، في 69 صفحة -وليس كما ذكر الأشهب في (برقة العربيَّة:150) من أنَّه إلى عام 1936م لم يُطبع- ثمَّ طبعته دار البشائر الإسلاميَّة، بتعليق وتصحيح أبي الفيض محمَّد ياسين الفاداني المكِّيّ.

[10] مدوَّن صغير في الفقه على مذهب الأثر، طُبع بمطبعة الجمهور، بجوار الكتبخانة الخديويَّة، بشارع المرخم، بمصر، في شعبان سنة 1323هـ/1905م، في 42 صفحة، وليس كما ذكر الأشهب في (برقة العربيَّة:150) من أنَّه إلى عام 1936م لم يُطبع بعد.

[11] صدرت طبعته الأولى في الأستانة عام 1899م، وطبعته مؤخَّرًا دار الفرجانيّ في طرابلس بليبيا.

[12] قال الكتَّانيُّ: «رأيتهما عنده»، فهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 897/2، ويُنظر: معجم الشيوخ، الفاسيُّ، 234.

- منظومة في مصطلح الحديث، وشرحُها[2].

7- وفاته:

ما زال سائرًا على منهاج أستاذه في متابعة السلف الصالح أهل الصدر الأوَّل، الذين عليهم المعوَّل، حتَّى لقي وجه الله، بالمدينة المشرَّفة، في اليوم التاسع من شوَّال سنة 1328هـ/13 أكتوبر 1910م، عن عمر يناهز السبعين عامًا، قضاها في تعلُّم العلم وتعليمه، ودُفن في بقيع الغرقد، رحمه الله، ورضي عنه[3].

حلَّاه السيِّد أحمد الشريف بقوله: «وليُّ الله الجليل الأجلُّ، الفاضل المبجَّل، العالم العلَّامة، والبحر الفهَّامة، محقِّق أوانه، وسيبويه زمانه، فصيح اللسان، ثابت الجَنان، الأديب الشاعر، الكاتب الماهر، الشيخ سيِّدي: فالح محمَّد بن عبد الله الظاهريُّ المهنويُّ»[4].

---

[1] منه نسخة محفوظة في الرباط، برقم (1360ك). الأعلام، الزركليُّ، 326/6، وقد شرعت في تحقيقه بمشاركة بعض الإخوان.

[2] محفوظة بمكتبة المسجد النبويّ، تحت رقم: 4/1877 مصطلح حديث، ويقوم الآن بتحقيقها ودراستها في رسالة ماجستير، الطالب: أحمد مفتاح الحمزيَّة، بكلِّيَّة أصول الدين، بجامعة السيِّد محمَّد بن عليٍّ السنوسيّ الإسلاميَّة، ليبيا.

[3] يُنظر: الشموس، السنوسيُّ، 259/1، وفهرس الفهارس، الكتَّانيُّ، 898/2، وأعلام من أرض النبوَّة، الكتبيُّ، 449، وخالف الأشهب فقال في (السنوسيُّ الكبير: 62): «توفَّاه الله سنة 1327هـ».

[4] الشموس، السنوسيُّ، 258/1.

ثالثًا: مسوِّغات الابتداء بالنكرة عند الناظمين:

اتَّفق الناظمان على عدِّ المسوِّغات عشرين مسوِّغًا، وهي نفسها العشرون التي ترجَّحت عند الخضريّ، ونظمها في الأبيات الأربعة السالف ذكرها دون تمثيل، وقد نظمها فالح الظاهريُّ في أحد عشر بيتًا ممثِّلًا لنصفها، بينما نظمها أبو سيف في ثمانية عشر بيتًا، مستوفيًا لجميع أمثلتها؛ كما يأتي:

1- أن تكون النكرة محصورة، ومثَّل له فالح بقوله: «شَوْقٌ إِلَى رُؤْيَاكَ أَقْدَمَنِي»؛ بمعنى: ما أقدمني إلى رؤياك إلَّا شوق، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «عِشْقٌ ضَرَّنِي وَضَنَا»؛ أي: ما ضرَّني إلَّا عشقٌ.

2- أن تُخصَّص بوصف، ومثَّل له فالح بقوله: «رَشًا فِي طَرْفِهِ كَحَلٌ، عَذْبُ الثِّغَاهِ، بِنَارِ الْهَجْرِ عَذَّبَنِي»، ومثَّل له أبو سيف -أيضًا- قائلًا: «طَرْفٌ فَاتِكٌ فَتَنَا».

3- أن تدخل عليها لام الابتداء، ولم يمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «لَأَغْيَدٌ قَدْ غَدَا لِلْقَلْبِ مُرْتَهَنَا».

4- أن تسبقها (كَمْ) الخبريَّة، ولم يمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «كَمْ عِدَةٌ أَخْلَفْتُهَا لَمْ أَذُقْ مِنْ أَجْلِهَا وَسَنَا».

5- أن تسبقها (لولا)، ومثَّل له فالح بقوله : «لَوْلَا اصْطِبَارٌ هَدَّنِي شَجَنِي»، وهو كشاهد النحاة [من البسيط]:

لَــوْلَا اصْــطِبَارٌ لَأَوْدَى كُــلُّ ذِي مِقَــةٍ لَمَّــا اسْــتَقَلَّتْ مَطَــايَاهُنَّ لِلظَّعَــنِ[1]

ومثال أبي سيف: «لَوْلَا مُرَاقَبَةٌ لَبِلْتُ أُمْنِيَّةً مَا لِي سِوَاهَا مُنِىَ».

6- أن تقع في أوَّل الجملة الحاليَّة، ولم يُمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «زُرْتُهُمْ وَدُجىً قَدْ أَسْدَلَ السِّتْرَ دُونَ مَنْ يُرَاقِبُنَا».

7- أن تقع جوابًا، ومثَّل له فالح بقوله: «(ظَبْيٌ)، لِمَنْ قَالَ: (مَنْ أَرْدَى الْفَتَى الْمُزَنِي؟)»، وأبو سيف -أيضًا- بقوله: «(غَانِيَةٌ)، لِقَائِلٍ: (مَنْ عَلَى لُبِّ الْكَمِيِّ جَنَى؟)».

8- أن تقع بعد (إذا) الفجائيَّة، ومثَّل له فالح بقوله: «زُرْتُكُمْ فَإِذَا أُسْدٌ تُهَمْهِمُ بِالْأَضْغَانِ وَالْإِحَنِ»، وقريب منه مثال أبي سيف: «زُرْتُ حَيَّهُمْ فَإِذَا بِيضٌ مُجَرَّدَةٌ حَوْلَ الْخِبَا وَقَنَا».

9- أن يتقدَّمها خبرها، بشرط كونه مختصًّا، ولم يشر فالح إلى هذا الشرط، كما لم يمثِّل له، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «عِنْدَكُمْ قَمَرٌ فَاقَ الْبُدُورَ سَنًا»، مشيرًا بقوله: «بِمَا اشْتَرَطُوا» إلى اشتراط النحاة كون الخبر مختصًّا.

10- أن تكون مبهمة، أي: مقصودًا إبهامها، ولم يمثِّل له فالح، وأشار أبو سيف إلى الإبهام بقوله: «فَاجْتَهِدْ وَاحْزِرْ؛ كَمَنْ مُجِنَا»، ومثاله قولهم: زائرة عندنا، لمن قصد عدم التعريف بها.

11- العطف، ولم يمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف بقوله: « رَشاً وَالْخِلُّ لِي فَهُمَا تَحَيَّرَا إِذْ رَنَا هَذَا وَذَاكَ رَنَا».

12- أن تكون عامَّة، ومثَّل له فالح بقوله: «مَنْ آلَفُهُ يُبْعِدُنِي»، ومثال أبي سيف: «كُلٌّ عَاشِقٌ لَهُمُ».

13- أن تكون مخصَّصة بنعت، أو بإضافة، أو بغيرهما ممَّا يفيد التخصيص، ولم يمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف فقال: «امْرُؤٌ إِخْتَارَ مَا حَسُنَا».

14- أن يؤتى بها للمناقضة (التناقض)، ومثَّله له فالح بقوله: «أَغْيَدٌ مَاسَ، لَا غَيْدَاءُ، حَيَّرَنِي»، وأبو سيف بقوله: «رِيقٌ ذُقْتُهُ لَا جَنَا».

---

[1] يُنظر: شرح ابن عقيل، 224/1.

15- أن تكون عاملة عمل الفعل، ومثَّل له فالح بقوله: «جَفَاءٌ كَمْ حَمَى عَنْ جُفُونٍ لَذَّةَ الْوَسَنِ»، وأبو سيف بقوله: «رَغْبَةٌ فِيهِمْ قَدْ فَتَّتَتْ مُهَجًا وَهَيَّجَتْ حَزَنَا».

16- أن تكون في معنى الفعل، ومثَّل له فالح بقوله: «سَلَامٌ عَلَى مَنْ جَدَّ فِي الظَّعَنِ»، وليس ببعيد منه قول أبي سيف: «سَلَامٌ عَلَى مَنْ شَطَّ ثُمَّ دَنَا».

17- كون الخبر مباينًا لما تُعورف عليه؛ أو من خوارق العادات، ومثَّل له فالح بقوله: «ضَبٌّ تَكَلَّمَ عَنْدَ الْمُصْطَفَى الْمَدَنِي»، وأبو سيف بقوله: «جِذْعٌ يَحِنُّ لِمَنْ يُسْعَى لِطَيَّبَتِهِ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا»، وكلٌّ منهما من معجزات النبيِّ ﷺ.

18- أن تكون فاعلًا في المعنى، ولم يمثِّل له فالح، ومثَّل له أبو سيف بقوله: «كَرِيمٌ وَفَى بَعَهْدِهِ مَعَنَا».

19- أن يراد بها التنويع، ولم يمثِّل له فالح، وأشار أبو سيف إلى مثاله بقوله: «ثَوْبٌ لَبِسْتُ»، قاصدًا قول الشاعر [من المتقارب]:

فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ ... فَثَوْبٌ لَبِسْتُ وَثَوْبٌ أُجُرُّ[1]

20- أن يراد بها الماهيَّة، أي: الحقيقة، ولم يمثِّل له فالح، ومثال أبي سيف: «رَجُلٌ خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ».

---

[1] كتاب سيبويه، 86/1.

المطلب الثالث: التحقيق

أوَّلًا: المنهج المتَّبع في التحقيق، ووصف النسخة الخطِّيَّة:

1- المنهج المتَّبع في التحقيق:

أ- إجراء بعض التعديلات المسموح بها للمحقِّق، ومنها: إثبات ما يتَّفق وقواعد اللغة، وينسجم به السياق، ويستقيم الوزن، مع الإشارة إلى ما خالف ذلك في الحواشي. وإضافة بعض الكلمات التي يلتئم بها الكلام بين معقوفين، دون إشارة إلى ذلك في الحواشي.

ب- كتابة النصِّ بما يوافق قواعد الإملاء الحديثة، وضبطه بالشكل ضبطًا كاملًا، مع وضع علامات الترقيم المناسبة، وشرح المفردات الغريبة.

2- وصف النسخة الخطِّيَّة:

دُوِّن هذان النظمان على حاشية الصفحة رقم: (155)، من الجزء الأوَّل، من كتاب: (حاشية الخضريِّ على شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك)، المطبوعة في نصف شعبان، سنة 1282هـ/3 يناير 1866م، في المطبعة الكستليَّة بمصر، والمحفوظة بخزانة الزاوية السنوسيَّة بالمدينة المنوَّرة، التي نُقلت إلى بنغازي.

وكُتبا بخطٍّ مغربيٍّ، في صفحة واحدة، عدد أسطرها (14) سطرًا، ومتوسِّط عدد الكلمات في السطر (22) كلمة، يكادان يكونان خاليين من الطمس والسقط والأخطاء، كاتبها وتاريخ كتابتها غير معروفين، وهذه صورتهما:

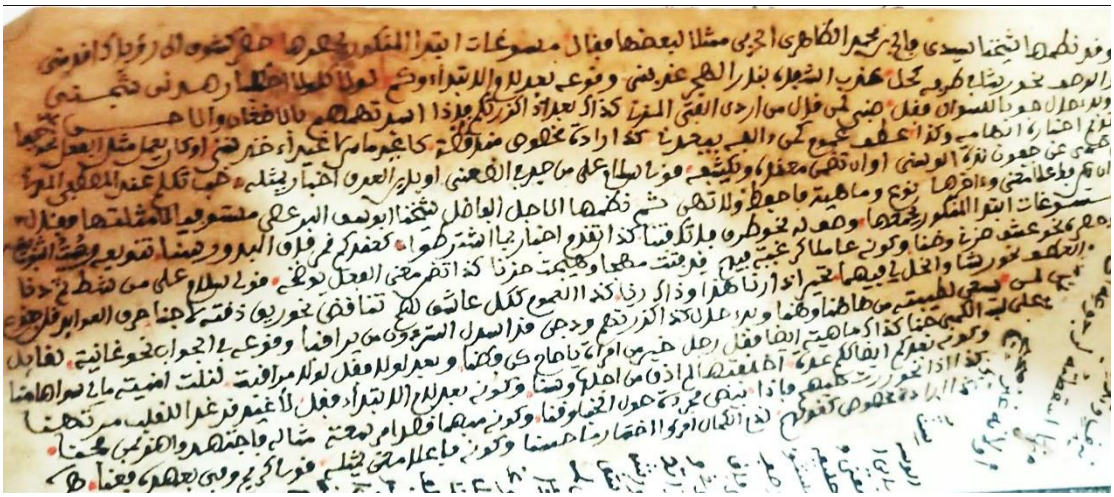

ثانيًا: النصُّ المحقَّق

1- نظم فالح الظاهريّ:

«وقد نظمها شيخنا سيّدي فالح بن محمَّد الظاهريُّ الحربيُّ ممثِّلًا لبعضها ، فقال [من البسيط]:

مُسَـــوِّغَاتُ ابْتِـــدَا الْمَـــنْكُورِ يَحْصُـــرُهَا: حَصْـــرٌ؛ كَـــ: (شَـــوْقٌ إِلَـــى رُؤْيَاكَ أَقْـــدَمَنِي)

وَالْوَصْـفُ؛ نَحْـوُ: (رَشَـاً فِـي طَرْفِـهِ كَحَـلٌ عَـــذْبُ الشِّـــفَاهِ، بِنَـــارِ الْـــهَجْرِ عَـــذَّبَنِي)

وُقُوعُـــهُ بَعْـــدِ (لَامِ) الِابْتِـــدَاءِ، وَ(كَـــمْ)، (لَـــوْلَا)؛ كَـــ: (لَـــوْلَا اصْـــطِبَارٌ هَدَّنِـــي شَـــجَنِي)

أَوْ بَـــدْءَ حَـــالٍ. جَـــوَابًا[1] لِلسُّـــؤَالِ فَقُـــلْ: (ظَبْيٌ)[2]، لِـمَنْ قَـالَ: (مَنْ أَرْدَى الْفَتَى الْـمُزَنِي؟)

كَـــذَاكَ بَعْـــدَ (إِذَا)؛ كَـــ: (زُرْتُكُـــمْ فَـــإِذَا أُسْـــدٌ تُهَمْهِـــمُ بِالْأَضْـــغَانِ وَالْإِحَـــنِ)

تَقْـــدِيمُ أَخْبَـــارِهِ. إِبْهَامُـــهُ. وَكَـــذَا عَطْـــفٌ. عُمُـــومٌ؛ كَـــ: (مَـــنْ آلَـــفْهُ يُبْعِدُنِـــي)

كَـــذَا إِرَادَةُ مَـــخْصُوصٍ. مُنَاقَضَـــةٌ[3] كَ:(أَغْيَـــدٌ مَـــاسَ، لَا غَيْـــدَاءُ، حَيَّرَنِـــي)

أَوْ كَـانَ يَعْمَـلُ مِثْـلَ الْفِعْـلِ؛ نَحْـوُ: (جَفَـا ءٌ كَـمْ حَـمَى عَـنْ جُفُـونٍ لَـذَّةَ الْوَسَـنِ[4])

أَوْ إِنْ تَضَـــمَّنَ مَعْنَـــاهُ؛ وَيَكْشِـــفُهُ قَوْلِـي: (سَـلَامٌ عَلَـى مَـنْ جَـدَّ فِـي الظَّعَـنِ)

أَوْ بَايَـــنَ الْعُـــرْفَ إِخْبَـــارٌ؛ يُمَثِّلُـــهُ: (ضَـــبٌّ تَكَلَّـــمَ عَنْـــدَ الْـــمُصْطَفَى الْمَدَنِـــي)

أَوْ إِنْ يَكُـــنْ فَـــاعِلًا مَعْـــنىً. وَآخِرُهَـــا: نَـــوْعٌ، وَمَاهِيَّـــةٌ. فَـــاحْفَظْ، وَلَا تَـــهُنِ».

---

[1] في المخطوط: «جوبا».

[2] في المخطوط: «ضبي».

[3] في المخطوط: «مناقظة».

[4] في المخطوط: «الوسني».

2- نظم أبي سيف البرعصيّ:

«ثمَّ نظمها الأجلُّ الفاضل، شيخنا أبو سيف البرعصيُّ -مستوفيًا لأمثلتها- فقال [من البسيط]:

مُسَـوِّغَاتُ ابْتِـدَا الْـمَنْكُورِ يَـجْمَعُهَا: وَصْـفٌ لَـهُ؛ نَحْـوُ: (طَـرْفٌ فَاتِـكٌ فَتَنَـا)

كَـذَا تَقَـدُّمُ أَخْبَـارٍ بِـمَا اشْـتَرَطُوا؛ كَـ: (عِنْـدَكُمْ قَمَـرٌ فَـاقَ الْبُـدُورَ سَـنَا)

تَنْوِيعُهُ [جَاء فِي «ثَوْبٌ لَبِسْتُ» كَذَا][1] وَحَصْـرُهُ؛ نَحْـوُ: (عِشْـقٌ ضَرَّنِـي وَضَـنَا)

وَكَوْنُـهُ عَـامِلًا؛ كَـ: (رَغْبَـةٌ فِـيهِمُو قَـدْ فَتَّـتَتْ مُهَجًـا وَهَيَّجَـتْ حَـزَنَا)

كَـذَا تَضَـمُّنُ مَعْـنَى الْفِعْـلِ؛ يُوضِـحُهُ قَوْلِـي: (سَـلَامٌ عَلَـى مَـنْ شَـطَّ ثُمَّ دَنَا)

وَالْعَطْـفُ؛ نَحْـوُ: (رَشَـاً وَالْـخِلُّ لِـي فَهُمَـا تَـحَيَّرَا إِذْ رَنَا هَـذَا وَذَاكَ رَنَا)

كَـذَا الْعُمُـومُ؛ كَـ: (كُـلٌّ عَاشِـقٌ لَـهُمُو تَنَـاقُضٌ؛ نَحْـوُ: (رِيـقٌ ذُقْتُـهُ لَا جَنَـا)[2]

خَـرْقُ الْعَوَائِـدِ، قُـلْ: (جِـذْعٌ يَحِـنُّ لِـمَنْ يُسْـعَى لِطَيْـبَتِهِ مِـنْ هَـا هُنَـا وَهُنَـا)

وَبَـدْءُ حَـالٍ كَـذَا؛ كَـ: (زُرْتُهُـمْ وَدُجَـىً قَـدْ أَسْـدَلَ السِّـتْرَ دُونَ مَـنْ يُرَاقِبُنَـا)

وُقُوعُـهُ فِـي الْـجَوَابِ؛ نَحْـوُ: (غَانِيَـةٌ، لِقَائِلٍ: [مَـنْ] عَلَى لُـبِّ الْكَمِـيِّ جَنَى؟)[3]

كَـذاكَ مَاهِيَّـةٌ -أَيْضًـا- فَقُـلْ: (رَجُـلٌ خَيْـرٌ مِـنِ امْـرَأَةٍ). يَا صَـاحِ كُـنْ فَطِنَـا

وَبَعْـدَ (لَـوْلَا)؛ فَقُـلْ: (لَـوْلَا مُرَاقَبَـةٌ لَبُلْـتُ أُمْنِيَّـةً مَـا لِـي سِـوَاهَا مُـنَى)

وَكَوْنُهُ بَعْدَ (كَمْ) -أَيْضًا- كَ: (كَمْ عِدَةٌ أَخْلَفْتُهَـا لَـمْ أَذُقْ مِـنْ أَجْلِهَـا وَسَـنَا)

وَكَوْنُـهُ بَعْـدَ (لَامِ الِابْتِـدَاءِ)، فَقُـلْ: (لَأَغْيَـدٌ[4] قَـدْ غَـدَا لِلْقَلْـبِ مُرْتَهَنَـا)

كَـذَا (إِذَا)؛ نَحْـوُ: (زُرْتُ حَـيَّهُمْ فَـإِذَا بِـيضٌ مُـجَرَّدَةٌ حَـوْلَ الْـخِبَا وَقَنَـا)

وَكَوْنُـهُ مُبْهَمًـا قَصْـدًا لِتَعْمِيَـةٍ[5] مِثَالُـهُ فَاجْتَهِـدْ وَاحْـزِرْ كَمَـنْ[6] مُـحِنَا

[كَـذَا] إِرَادَةُ مَخْصُـوصٍ؛ كَقَوْلِـهِمُو لـذي الْكَمَـالِ: (امْـرُؤٌ إِحْتَـارَ[7] مَـا حَسُـنَا)

---

[1] ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط.

[2] «الجَنَا: اسْم مَا يُجْتَنَى مِنَ الثَّمَر». النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، 310/1.

[3] «جنى فلان جناية؛ أي: جرَّ جريرة على نفسه، أو على قومه، يجني». كتاب العين، الفراهيديُّ، 184/6.

[4] صرف «أغيد» ضرورة شعريَّة.

[5] في المخطوط: «قصدا مر لمعة»، وما أثبتُّه أوفق للسياق، والوزن.

[6] الكلمتان غير واضحتين في المخطوط.

[7] قطع الهمزة ضرورة.

وَكَوْنُـــــهُ فَـــــاعِلًا مَعْـــــنًى؛ يُمَثِّلُـــــهُ قَوْلِـــي: (كَـــرِيمٌ وَفَـــى بَعَهْـــدِهِ مَعَنَـــا[1])»

[1] في المخطوط: «فعنا».

الخاتمة

أوَّلًا: النتائج

1- لم يعوِّل المتقدِّمون في ضابط الابتداء بالنكرة إلَّا على حصول الفائدة، أمَّا المتأخِّرون فرأوا أنَّه ليس كلُّ أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة، فتتبَّعوا تلك المواضع وحصروها تحت باب (مسوِّغات الابتداء بالنكرة).

2- اختلف النحاة في عدد (مسوِّغات الابتداء بالنكرة)؛ فمن مقلٍّ مخلٍّ، ومن مكثر مورد ما لا يصلح، واهتمَّ بعض المتأخِّرين بهذا المسألة، وخصُّوها بالتأليف، وقد أحصت الدراسة عشرة مصنَّفات منها، بين منثور ومنظوم.

3- يعدُّ السيِّدان أبو سيف بن مقرِّب البرعصيُّ (ت:1896م)، وفالح بن محمَّد الظاهريُّ (ت:1910م) - أنموذجًا لعدد كبير من العلماء والأدباء الذين أنجبتهم الدعوة السنوسيَّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ليبيا.

4- اتَّفق الناظمان على عدِّ المسوِّغات عشرين مسوِّغًا، وهي نفسها العشرون التي ترجَّحت عند الخضريِّ، وهي: أن تكون النكرة محصورة، أو تُخصَّص بوصف، أو تدخل عليها لام الابتداء، أو تسبقها (كَمْ) الخبريَّة، أو تسبقها (لولا)، أو تقع في أوَّل الجملة الحاليَّة، أو تقع جوابًا، أو تقع بعد (إذا) الفجائيَّة، أو يتقدَّمها خبرها المختصُّ، أو تُعطف أو يُعطف عليها، أو تكون عامَّة، أو تكون مخصَّصة بنعت أو بإضافة أو بغيرهما ممَّا يفيد التخصيص، أو يؤتى بها للمناقضة، أو تكون عاملة عمل الفعل، أو تكون في معنى الفعل، أو كون الخبر من خوارق العادات، أو تكون فاعلًا في المعنى، أو يراد بها التنويع، أو يراد بها الماهيَّة.

5- نظم السيِّد فالح الظاهريُّ المسوِّغات في أحد عشر بيتًا ممثِّلًا لنصفها، بينما نظمها السيِّد أبو سيف في ثمانية عشر بيتًا، مستوفيًا لجميع أمثلتها.

ثانيًا: التوصيات

توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالموروث الليبيِّ العلميِّ والثقافيِّ، ولا سيَّما العهد السنوسيِّ (1841-1969)، وذلك بالبحث عن أعلامه، والتنقيب عن أعمالهم، وتحقيقها ودراستها ونشرها.

المصادر والمراجع

أوَّلًا: المخطوطة

1- الدرُّ الفريد الوهَّاج، بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، السنوسيُّ، أحمد الشريف (ت:1933م).

2- الشموس النورانيَّة العرفانيَّة الإشراقيَّة، في بيان أعلام الطريقة السنوسيَّة الإدريسيَّة المحمَّديَّة، السنوسيُّ، أحمد الشريف (ت:1933م).

ثانيًا: المطبوعة

3- الأصول في النحو، ابن السرَّاج، أبو بكر (ت:316هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسَّسة الرسالة، لا ط بيروت، لا ت.

4- إعلام الطلبة الناجحين، فيما علا من أسانيد الشيخ عبد الله سراج الدين، سرداد، أحمد، دار القلم العربيِّ، ط1، حلب، 1994م.

5- أعلام ليبيا، الزاويُّ، الطاهر أحمد، دار المدار الإسلاميِّ، ط3، طرابلس، 2004م.

6- أعلام من أرض النبوَّة، الكتبي، أنس، الخزانة الكتبيَّة الحسنيَّة الخاصَّة، دار المجتبى، ط1، المدينة المنوَّرة، 2016م.

7- الأعلام، الزركليُّ، خير الدين (ت:1978م)، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م.

8- ألفيَّة ابن مالك، ابن مالك (ت:672هـ)، دار التعاون، لا ط، القاهرة، لا ت.

9- برقة العربيَّة بين الأمس واليوم، الأشهب، محمَّد الطيِّب، مطبعة الهوَّاريِّ، ط1، القاهرة، 1936م.

10- تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع (إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر)، ممدوح، محمود سعيد، ط2، بيروت، 2004م.

11- التعليقة على المقرَّب، النحَّاس، بهاء الدين (ت:398هـ)، تح: د. جميل عبد الله عويضة، وزارة الثقافة، ط1، عمَّان، 2004م.

12- حاشية الخضريِّ على شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، الخضريُّ، محمَّد (ت: 1278هـ)، تح: يوسف الشيخ محمَّد البقاعيِّ، دار الفكر، ط1، بيروت، 2003م.

13- حسن الوفا لإخوان الصفا، الظاهريُّ، فالح (ت:1910م)، مطبعة شركة المكارم، ط1، الإسكندريَّة، 1905م.

14- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبِّيُّ، محمَّد أمين (ت1111هـ)، دار صادر، لا ط، بيروت، لا ت.

15- دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبيَّة في المغرب العربيِّ، الحاجريُّ، محمَّد، دار النهضة العربيَّة، ط1، بيروت، 1983م.

16- رحلة الحشائشيِّ إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، الحشائشيُّ، محمَّد، تح: عليِّ مصطفى المصراتيِّ، دار لبنان، ط1، بيروت، 1965م.

17- السنوسيُّ الكبير، الأشهب، محمَّد الطيِّب، مطبعة محمَّد عاطف، ط1، القاهرة، 1956م.

18-شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله (ت:769هـ)، تح: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ط20، القاهرة، 1980م.
19-العجالة في الأحاديث المسلسلة، الفادانيُّ، محمَّد ياسين، دار البصائر، ط2، دمشق، 1985م.
20-فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، الكتَّانيُّ، محمَّد عبد الحيّ (ت:1382هـ)، تح: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلاميّ، ط2، بيروت، 1982م.
21-فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزيَّة بنغازي، شمبش، فرج ميلاد، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2001م.
22-فيض الملك الوهَّاب المتعالي، بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي، البكريُّ، عبد الستَّار، تح: أ.د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسديّ، ط2، مكَّة المكرَّمة، 2009م.
23-كتاب العين، الفراهيديُّ، الخليل بن أحمد (ت:175هـ)، تح: د.مهديّ المخزوميّ، د.إبراهيم السامرَّائيّ، دار ومكتبة الهلال، لا ط، بيروت، لا ت.
24-كتاب سيبويه، سيبويه، عَمر بن عثمان (ت:180هـ)، تح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجيّ، ط3، القاهرة، 1988م.
25-معجم الشيوخ، المسمَّى (رياض الجنَّة، أو المدهش المطرب)، الفاسيُّ، عبد الحفيظ (ت:1383هـ)، تح: عبد المجيد خيَّالي، دار الكتب العلميَّة، ط1، بيروت، 2003م.
26-معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة، سركيس، موسى، مطبعة سركيس، ط1، القاهرة، 1928م.
27-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريُّ (ت:761هـ)، تح: د. مازن المبارك، ومحمَّد عليّ حمد الله، دار الفكر، ط6، دمشق، 1985م.
28-موسوعة القطعانيّ، القطعانيُّ، أحمد، (ت:2019م)، الواثقون للمقاولات، ط1، طرابلس، 2012م.
29-نتائج الفكر في النحو، السهيليُّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت:581هـ)، دار الكتب العلميَّة، ط1، بيروت، 1992م.
30-نثر الجواهر والدرر، في علماء القرن الرابع عشر، المرعشليُّ، يوسف، دار المعرفة، ط1، بيروت، 2006م.
31-النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مجد الدين (ت:606هـ)، تح: الطاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحيّ، المكتبة العلميَّة، ط1، بيروت، 1979م.
32-هدية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين، البغداديُّ، إسماعيل، دار إحياء التراث العربيّ، لا ط، بيروت، 1951م.

ثالثًا: البحوث والمقالات

33-التذكرة في التسويغ للابتداء بالنكرة، العُنَّابيُّ، أحمد بن محمَّد (ت:776هـ) تح: د. هادي أحمد فرحان الشجيريّ، مجلَّة العلوم الإسلاميَّة، العراق، ع 12، 2016م.
34-عُمر المختار في ذكرى استشهاده، حسن أحمد، مجلَّة البيان، ع 15، 1988م.